الحداثة في المشروع الاركوني

د رباني الحاج،
الطالبة مزوغي ملحة،
جـــامعة معســـكر.

ملخص:
نحاول من خلال هذا الطرح تقديم التصور الاركوني لمفهوم الحداثة والذي يتجاوز من خلاله الطرح الايديولوجي الغربي لها في زمن ما بعد الحداثة والذي يمكن من قيامها في الوطن العربي بإعادة قراءة للتراث العربي الإسلامي بمناهج علمية حديثة من خلال مشروع نقد العقل العربي الإسلامي اومشروع الدعوة الى اعمال العقل
عبر مباحث نبين من خلالها ماهية هذا المفهوم وامكانية قيامه في التاريخ الاسلامي حداثة مادية وعقلية على السواء من خلال العديد من كتاباته في هذه المسألة ومراجع عنه في نفس السياق.
الكلمات المفتاحية: محمد أركون ـ الحداثة ـ التراث ـ الثقافة ـ الإسلام

Résumé :

La modernité dans le projet arkounien
Par le présente article nous voulons donner une lecture critique à la problématique de la modernité selon la conception arkounienne, quelle sont les conditions nécessaire pour introduire les principes fondamentaux de la modernité dans monde arabe ?
Comment moderniser la culture et la conscience des sociétés arabo-musulmanes pour entrer dans l'âge moderne ?
Comment sortir de la conscience mythique vers une conscience critique, historique et rationnelle ?
Selon Arkoun sans prendre en considération la critique de notre patrimoine culturel, philosophique, littéraire, religieux et politique, en ne peut pas passer de l'âge classique à la modernité.
La modernité prends une grande importance dans le projet critique de Mohamed Arkoun, il pose des questions radical sur la raison islamique, cette article tente de participer dans le développement de débat sur ce sujet.
Mots Clés : Mohamed Arkoun – Modernité – Patrimoine – Culture - Islam

تمهيد:

لا يخفى على اي عاقل وضع من يمثلون خمس سكان العالم من تخلف فكري على مستوى الانتاج ونمواقتصاديبطيء، هذا الوضع يكاد يطال جميع المجالات الحياتية للعالم العربي مما جعل شكيب ارسلان وغيره كثير يتساءل لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم ؟ امام هذا الواقع حاول كل من جيل الاكاديميين والمفكرينالعرب الإجابة عن هذا التساؤل وفقا لضرورة العصر وظروفه: الثورة، مطلب النهضة والتنمية ثم الحداثة بمفهومها العام والتي اصبحت مطلبا في الوطن العربي زادت من ضرورته انفتاح هذا الاخير على الغرب.

وبمفهومها الاركوني الخاص الثوري الذي يحاول توجيه المسلمين نحومعنى الجهاد الحقيقي العلمي لا الجهاد بمعناه التقليدي عبر تأصيل الحداثة إسلاميا عبر تجديد الفكر الديني ولتوضيح هذا التصور سنتعرض لمبحث الحداثة عبر ضبطه منخلال المقصود به ثم تأصيله من خلال توضيح الجذور التاريخية له والتي اسهمت في تكوينه ثم ما معنى ان يدعوالعرب الى تبني هذا المفهوم بتبيين صداه في العالم العربي ثم ملخص عن المشروع الاركوني ثم الحداثة الاركونية كما يتصورها ضمن مشروعه.

ماهية الحداثة:

يشكوا العديد من الدارسين من غموض معنى الحداثة ويعود هذا الغموض إلى كون هذا المفهوم مفهوما حضاريا شموليا يطال كافة مستويات الوجود الانساني " (سبيلا محمد.**2007:07**)حيث يشمل الحداثة السياسية، الاقتصادية،الاجتماعية، التقنية

الثقافية والفلسفية وبهذا هي خاضعة لمقاربات مختلفة هذا من جهة ومن جهة أخرى " فهي ليست حدثا تاريخيا اوعصرا معينا محددا بذاته " (مسرحي فارح. **2006**: **19**) فهي قد تشكلت على فترات طويلة في العالم الاوربي سنأتي على ذكرها لاحقا

فهومفهوم جديد نسبيا ولذلك يصعب تحديد معناه خاصة في العالم العربي، كلمة حداثة في اللغة العربية من مادة " حدث "
وحدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة فهومحدث وحديث وحدث الأمر أي وقع والمحدث هوالجديد (ابن منظور. دس: **581**) وعليه الحديث في اللغة العربية كل ما استجد في أمر من الأمور، كما انه نقيض القديم وفي الأثر الحديث إياكم
ومحدثات الامور جمع محدثة وهوالمستجد في الدين.

الحداثة في سياقها التاريخي:

مفهوم الحداثة يختزل تاريخ تطور وتقدم الثقافة الأوربية من عصر النهضة الى عصر الأنوار ومن الثورة الصناعية الى ثورة الإعلام والاتصالات (الميلاد زكي. **2004**: **286**) لقد تشكلت الحداثة في العالم الغربي عبر مراحل وللتفصيل أكثر سنورد الحوادث التاريخية البارزة التي شكلت الحداثة
اكتشاف العالم الجديد من طرف كريستوف كلومبس سنة **1492** سقوط بيزنطة **1453** واحداث علمية وتقنية هامة: اكتشاف الطباعة مع غوتنبرغ سنة **1440** وفلكيات كوبرنيقوس **1526**، اكتشاف الدورة الدموية واحداث فكرية محددة النهضة الفنية في ايطاليا، واطروحات مارتن لوثر كينج الاحتجاجية سنة **1517** وظهور كتاب مقال في المنهج لديكارت سنة **1637**" هذه الاحداث التي يأخذ بعضها برقاب بعض ضمن دينامية آلية لم تتوقف مسيرتها المتزايدة السرعة ابتداء من القرن **15**
الميلادي شكلت العلامات البارزة لسيرورة حضارية لم تنتهي اشواطها الكبرى حتى الان (سبيلا محمد. **2006**: **22**)
ما يميز سياقها التاريخي هوارتباطه بالتقدم على المستوى المادي العلمي والفكري.
" قرنها بعض الكتاب بانتشار الرأسمالية في الفترة الواقعة في القرن الرابع ولغاية القرن الثامن عشر ومنهم من ربطها مع التغيرات الدينية

للقرن الثامن عشر التي افرزت قواعد عقلانية، ومنهم من ربطها بامتلاك التصنيع في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وبداية القرن العشرين " (خليل العمر معن. **2000**: **301**).

وتجدر الاشارة هنا إلى أننا يجب ان نفرق بين النهضة، الأنوار والحداثة "ذلك ان فكر النهضة كان قوامه في اوربا إحياء التراث اليوناني والروماني، الفلسفي والعلمي والفني والأدبي والانتظام في الشيء الذي يعني العمل على الإفلات من هيمنة فكر الكنيسة ووصايتها على العقل والوجدان،مع اعادة اكتشاف العقل ومنجزاته، اما فكر الانوار فقوامه التحرر من جميع السلط

التي توجه الفكر والسلوك وعدم الاعتراف الا بسلطة العقل ولذلك فا الانوار تعني الاستقلال عن كل تراث مضىوخلق تراث جديد تكون مرجعيته نور العقل وحده " (سحبون علي رحومة. **2007**: **32 – 33**).

كما ان الحداثة هي مستوى اعلى من العقلانيةتجاوزت هذه المراحل عبر التقدم الذي عرفه التاريخ الاوربي وكلها مراحل مترابطة قام فيها الفكر الغربي بإقامة قطائع مع كل تقليد وتراث والبناء اوالتأسيس عليه في جميع المستويات، عكفت في هذه المراحل الذات الانسانية على المعرفة والتحكم في الطبيعة والانفلات من سلطة الكنيسة فقد " مزقت الحداثة العالم المقدس بتعبير الان توران " (مسرحي فارح. **2006**: **39**) وبدأ العقل الغربي بقراءة النص الديني وفهمه عقليا وتفسيره من خلال معطيات العصر وتجلى هذا " في أعمال سبينوزا من خلال قراءته النقدية للكتاب المقدس "(مسرحي فارح. **2006**: **42**)

وعموما فمفهوم الحداثة ذوحمولة فلسفية وايديولوجية ترتكز على أحداث تميزت بها حقبة تاريخية معينة في حيز جغرافي محدد ويتعلق الأمر بالتحولات التي وقعت على جميع المستويات السياسية: نشأة الدول الديمقراطية والتي تعتبر الحكم للشعب وحده، العلمانية، المستوى الاقتصادي: سيطرة النظام الرأسمالي والتطور الصناعي ووسائل الانتاج

وشيوع ثقافة الاستهلاك وارتباط هذا المستوى بمستوى آخر هوالتكنولوجي والتطور الهائل الحاصل في هذا المجال ثم المستوى الاجتماعي: الذي تغيرت فيه القيم تبعا للتغيرات في المستويات السابقة وقد اعتبر " فارح مسرحي " في كتابه الحداثة عند اركون " ان هذه المستويات تمثل البنية التحتية للحداثة فيحين ان التغييرات التي اصابت المستوى الفكري والعقلي تمثل بنيتها الفوقية " (مسرحي فارح. **2006**: **45**)فالحداثة الفكرية بمثابة الروح من كل الحداثات السابقة (سبيلا محمد. **2007**: **65**)

ثم ظهرت انتقادات للحداثة من داخلها وكان النقد موجه بالأساس الى أحد خصوصياتها من انها تتعلق بالعالم الغربي فقط خاصة مع بداية القرن العشرين وتوالي الحروب الاهلية العالمية (الاولى والثانية) وسيطرة أوطغيان المادة والآلة وفقدان القيم الأخلاقيةظهر مصطلح ما بعد الحداثة في أواخر القرن العشرين والتي اعتبرها الكثير من المفكرين أنها ليست إلا أحد موجات الحداثة: " ما بعد الحداثة ليست الا الحداثة في مرحلتها الثانية أواللآ حقة " (سبيلا محمد. **2007:61**) وقد وسعت من

أفق رؤيتها ومناهجها إنها بالعكس أن ترى وتفكر فيما لم يفكر فيه اصحاب الحداثة ، لقد غيرت علاقتها مع بعض المفاهيم إذ وسعت من مفهوم العقل ليشمل الخيال، الأسطورة...وعليه ظهرت دعوات الى عدم تجاوز الحداثة وانما تصحيح مسارها " لأنها بتعبير هابرماس مشروع لم يكتمل (الزين محمد شوقي.**2008:49**).

هي تتكون باستمرار وهذا ما ينطبق مع تعريف محمد اركون لها: إن اوربا تنتقل الان من مرحلة العقل الكلاسيكي المرتكز على اليقينيات المطلقة الى مرحلة العقل النسبي أوالنقدي الذي يعود على نفسه باستمرار من اجل تصحيحه مساره اوتعديله إذا لزم الامر " (اركون محمد. **2004**: **317**)

اما عن إمكانات التحديث في الوطن العربي فإن النقد الذي ذكرناه في السابق مهد أوفتح المجال لكي يرى الغربي الى الثقافات الاخرى بعيدا عن الدونية اوحسب تصنيف المركز والأطراف فظهرت إمكانية ان تتعدد الحداثات ولا تغدوالحداثة بالتالي شأنا اوربيا وذلك أصبح من المتاح لنا ان نسأل هل هناك إمكانية لقيام حداثة في العالم العربي الاسلامي ؟

إن لفظ الحداثة من فعل التحديث وهوبهذا متاح لكل البشرية اذا ما توفرت الظروف والشروط المرتبطة بالذات العربية وبمحيطها ذلك انها نظام من الأفكار وان استنبتت في اوربا فقد دل التاريخ على إمكانية زرعها لدى شعوب أخرى إنها تدخل ضمن مجال الأفكار المتاحة للبشرية جمعاء " (الشيخ محمد. **2005:29**)

هذا عن إمكانية حصولها في العالم العربي وفي غيره لكن حين نتحدث عن الحداثة في العالم العربي فإننا نتحدث عن محاولات للتحديث وليس الحداثة بمفهومها الغربي وعلى جميع المستويات، إنها مشاريع تبتغي المشاركة في التحولات التي يشهدها العالم وفي هذا الصدد يذكر محمد شوقي الزين " انها أي الحداثة أوسع من ان تكون مجرد موضات عابرة اوتحديث راهني، انها عصب الحدث في فرادته وراهنيته ومن يحسن صناعة أحداثه بما يعود بالنفع....هومن يملك الحداثة بمفهومها وكرونولوجيتها (الزين محمد شوقي. **2008**: **13**) كما ان عالمنا العربي لم يعش هذه التسميات: نهضة، حداثة، ما بعد حداثة عبر مراحل متسلسلة زمنيا " وإنماعاش مزيجا حضاريا اختلط فيه التقليد بالحديث " (سبيلا محمد.**2007**: **67**)

في نفس المعنى يذكر محمد عابد الجابري ان الوضع عندنا يختلف: إن النهضة والانوار والحداثة لا تشكل عندنا مراحل متعاقبة يتجاوز اللاحق منها السابق بل هي عندنا متداخلة متشابكة متزامنة ضمن المرحلة المعاصرة (الجابري محمد.**1991**: **16**)

الظاهرة الدينية وتحديث الخطاب الديني في المشروع الفكري لمحمد اركون:

يعتبر" محمد اركون" المفكر الجزائري(**1928- 2010**)من اوائل المفكرين العرب المسلمين المعاصرين الذي اسس مشروع فكري نقدي وحداثي في الوطن العربي في وقت لا نزال نستهلك في المجال الثقافي اكثر مما ننتج هومشروع ضمن المشاريع التي قدمها العديد من المفكرين العرب المعاصرين امثال محمد عابد الجابري، هشام جعيط،نصر حامد ابوزيد وغيرهم هذه الجهود التي تندرج ضمن مشروع كبير ما فتيء ينجز في سبيل صياغة دقيقة للمقاصد السياسية الكبرى...والمتمثلة في الاستقلال، القوة والتقدم (عبد اللطيف كمال**1992**: **5**) ليس الاستقلال الوطني بمعناه القديم الذي يبتغي تحرير منطقة جغرافية معينة من الاستيطان وانما استقلال العقول العربية والاسلامية من كل فكر متحجر ومن كل سلطة تقليدية تحاول ابقاء الاوضاع على ماهي عليه خدمة لمصالح خاصة وغير مفهومة فبادروا الى تأسيس هذه المشاريع يعكسون بذلك مظاهر التغيير التي بدأت تلوح في الافق استيعابا لمتغيرات موضوعية تتعلق بتحولات التاريخ العالمي الحديث والمعاصر هذه المشاريع النقدية اعتبرها "محمد عابد

الجابري " مرحلة ثالثة بعد مرحلتي النهضة والثورة " لان نقد العقل جزء اساسي واولي من كل مشروع نهضة ولان نقد العقل لم يحصل الا في هذه المرحلة التي نحن بصددها " (الفجاري مختار.**2009:241**) موظفين في هذا الكم الهائل من النظريات الغربية الحديثة والمعاصرة اذا اعتمد على المنهجية الحفرية الاركيولوجية " التي تتجاوز منطوق الخطاب للبحث عن مضمراته والكشف عن آليات اشتغاله "(حرب علي. **2005:124**) في نقد التراث العربي الاسلامي على سبيل التحرر منه عبر امتلاكه معرفيا وهي المقدمة التي لابد منها للوصول الى الحداثة كمفهوم حضاري وانتاج انساني علما بان" محمد اركون "يضع نفسه

في الفضاء المعرفي لفلسفة ما بعد الحداثة وعليه مشروعه يبتغي حداثة لا تؤمن بمركزية اوربية كما كان يعتقد رواد الحداثة الغربية، وانما حداثة متفتحة على كل الثقافات ولذلك كان مفتتنا بالجهاز المفاهيمي والنظريات التي تنتمي الى هذا التيار.

يعرف مشروعه: بنقد العقل الاسلامي والذي صاغ معالمه على ما يفوق اربعين سنة " قد انخرطت منذ حوالي الاربعين عاما في مشروعي الكبير: نقد العقل الاسلامي " (اركون محمد.**2004**: **183**)من خلال اشهر مؤلفاته والتي ورد فيها ابرز دراساته ترجمها الى العربيةهاشم صالح من بينها تاريخية الفكر العربي الاسلامي والذي نشر لأول مرة بالفرنسية تحت عنوان:

وقد غيره اركون تخفيفا لوطأة Pour une critique de la raison islamique

المصطلح النقدي على القارئ المسلم الذي لا يتقبل عقله بعد نقد ما يندرج تحت اسم الاسلام من الصفات والمحمولات اي فعل ذلك بدافع التقية خاصة وانه تعرض لهجمات بعض العلماء من جراء انتقاداته للفكر الديني الاسلامي " (حرب علي.**2005:61**) وقد اقر هوشخصيا بذلك في كتابه من فيصل التفرقة الى فصل المقال يقول:استعملت هذا العنوان:" يقصد نقد العقل الاسلامي بالفرنسية بدون تردد لان اللغة الفرنسية مؤيدة للنقد الفلسفي والتاريخي...اما اللغة العربية فلا تتحمل اقتران النقد بالعقل الاسلامي" (الفجاري مختار.**2009**: **251**) لكنه فيما بعد عمد الى تسمية كتاب آخر صدر له بالعربية عن دار الساقي ضمن سلسلة بحوث اجتماعية بعنوان: من الاجتهاد الى نقد العقل الاسلامي ثم الفكر الاسلامي:نقد واجتهاد إضافة

الى مراجع اخرى منها :قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الاسلام اليوم ؟، الفكر الاسلامي: قراءة علمية، قراءات في القرآن... هذا المشروع الذي صاغه محمد اركون نبع من المسار العلمي والشخصي للرجل بداية مع دراسته في الجزائر الى اقامة الرجل في باريس والتي

كان لها الاثر الاكبر في مهمته النقدية خاصة بعد انخراطه في الحياة الجامعية فيها وتعرفه على احدث المناهج الغربية في الدراسات الانسانية والاجتماعية.

حاول اركون دراسة الدين كظاهرة انثربولوجية ذلك انه بمفهومه العام كمعطى سوسيولوجي ومخزون رمزي وروحي هوسجين عاملين ايديولوجين: الاول: الديانة في التحامها بالسياسة عن طريق توظيفها لإضفاء الشرعية والتدين عن طريق اقامة ممارسات شعائرية دون تمعن اونظر ولذلك فإن الاسلامولوجيا هدفها اورهانها الاساسي هوتخليص الدين من الاستعمال السياسي والايديولوجي لرموزه ودلالا ته ومن الانفعال النفسي الذي يموقع الضمير الفردي اوالجماعي في مخيالات تحكم تصوراته للحياة والوجود من خلال نقد الخطاب الاصلاحي القائم على البحث عن الاصول المفقودة والمثل المتعالية كما يتيح لنا هذا المنظور الانثربولوجي " ان نكتشف الى اي مدى تبدوا في مجتمعاتنا المدعوة حديثة وعقلانية وعلمية لا تزال خاضعة لأدبيات الاسطرة والادلجة (اركون محمد.**1995:45**) هذا ما يميز مشروع اركون عن باقي المشاريع " اي كونه مشروعا جذريا يطال بالنقد والتفكيك الاصول والفروع "(حرب علي.**2005:131**)

لقد قام بنقد الاجتهاد التقليدي والدعوة الى اعادة تقييم نقدي شامل لكل الموروث الاسلامي منذ ظهور القرآن وحتى اليوم وفيه ميز بين اربعة مراحل اساسية: "مرحلة القرآن الكريم والتشكيل الاولي للفكر الاسلامي،مرحلة العصر الكلاسيكي اي عصر العقلانية والازدهار العلمي والحضاري،مرحلة العصرالسكولاتيكي التكراري الاجتراري (اوما يدعى بعصر الانحطاط) مرحلة النهضة في القرن التاسع عشر وحتى الخمسينات من هذا القرن ويمكننا ان نضيف اليها مرحلة خامسة يمكن ان ندعوها ب:الثورة القومية:عبد الناصر **1952** – **1970** ف:الثورة الاسلامية **1970** وحتى اليوم " (اركون محمد.**2004:283**)

وقد اعطى الاهمية اوالاولوية لمرحلة البدايات والتأسيس.

كما انتقد القراءة الاستشراقية:اوالتأويلية الغربية للتراث الاسلامي والتي انبنت في اساسها على المركزية الاوربية وهي لهذا دراسات غير موضوعية، وحسب اركون ان الاسلام بتنوع تعبيراته الثقافية:الشعوب التي دخلت الاسلام من غير اهل الجزيرة العربية كا لبربر مثلا وتجلياته التاريخية (السنة، الشيعة، الإباضين...) يبقى تحديا للعلوم الاجتماعية وهذا لطرق مناطق ممنوعة، اختراق مناطق اللامفكرفيه اوالمستحيل التفكير فيه كما فعل فلاسفة الانوار مع اللاهوت المسيحي.

فهويرى فيها (العلوم الاجتماعية) اذا طبقت التطبيق المناسب تكون تحديا للعالم الاسلامي في واقعه المعيشي والملموس بمعنى آخر تحديثه كما لم يكتفي " محمد اركون " بنقد الخطابات الدينية: الاحاديث والتفاسير وتفكيك الأنساق الفقهية والمنظومات العقائدية " بل يتوغل في نقده وتفكيكه وصولا الى الاصل الأول أي الى الوحي القرآني اوالحدث القرآني على ما يسميه احيانا(حرب علي. **2005**: **62**) إنه يخضع القرآن للنقد ويقرأه بمنهجية تفكيكية بغية الكشف عن تاريخيته: " إن تحليل الخطاب الديني أوتفكيكه يتم لا لتقديم معانيه " الصحيحة " وإبطال التفاسير الموروثة، بل لإبراز الصفات اللسانية اللغوية وآلات العرض والاستقلال والاقناع والتبليغ والمقاصد المعنوية الخاصة بما اسميته " الخطاب النبوي " (اركون محمد.**2001**: **5**) وهذا ما يجعله في خانة المغضوب عليهم من طرف الفكر الاسلامي الرسمي اي توجهه نحوالانشغال بالقرآن الكريم: " إن ذلك عائد إلى انشغالي منذ زمن طويل بتأويل النص المقدس أوالذي قدسه تراكم الزمن ومرور القرون " (اركون محمد.**2004**: **21**).

يعترف محمد أركون في مواضع كثيرة من كتبه وبكل تواضع صعوبة تحقيق مآربه العلمية وإمكانية استكمالها في وقت قصير (المزوغي محمد. **2007**: **37**) إذ يذكر في كتابه تاريخية الفكر العربي الإسلامي هذه الصعوبة: " المشروع شديد الجدة وشديد التعقد

إلى حد أنه يتعذر إنجازه تماما منذ المحاولات الاولى " (اركون محمد.❖ **998**: **11**)

يكتب " هاشم صالح " عن مراجع " محمد اركون " قائلا:" وفي ما يخص كتب أركون أشعر أحيانا بعد المعاشرة الطويلة والمران المستمر أنه ينبغي ليس فقط ترجمتها وإنما تلخيصها أيضا أوكتابة عدة كتب عن كل كتاب مترجم لكي يفهم فعلا ، اقول ذلك على الرغم من العناية القصوى التي اوليها لترجمته وعلى الرغم من الهوامش والشروحات التي أرفقتها بالنص المترجم " أركون محمد.**1998**: **197**) فعلا الذي يتعرف على المدونة الأركونية يدرك مالها من أهمية من حيث عمقها كما أن فهمها ليس بالأمر السهل لان على القارئ أن يكون على الأقل مطلعا على الفلسفة الحديثة والمعاصرة ليدرك تزامن كتاباته مع هذه الأيديولوجية الغربية وفي نفس الوقت ارتباطها بالتراث الإسلامي الضارب في عمقه التاريخي.

مع هذا فهويؤكد على حرصه على " الالتزام بمبادئ المعرفة العلمية واحترام حقوقها مهما يكن الثمن الايديولوجي والبسيكولوجي والاجتماعي الذي ينبغي دفعه للقيام بذلك اونتيجة القيام بذلك باهضا " (اركون محمد. **1998**: **11**)

الحداثة الاركونية:

" سؤال الحداثة " سؤال متعدد الأبعاد سؤال موجه الى التراث بجميع مجالاته وسؤال موجه الى الحداثة نفسها بكل معطياتها وطموحاتها...انه سؤال جيل بل اجيال...سؤال متجدد الحياة " (الجابري محمد عابد.**1991**: **11**).

يشكل الغوص في موضوع الحداثة هاجسا لدى كل المثقفين العرب الذين بادروا بالكتابة عنها والحوار حولها في شتى الندوات والملتقيات العلمية، هذا الاهتمام يدل على الهم الذي يساور العرب جميعهم ألا وهوالسير نحوالتقدم الذي تشكل في البلاد الأخرى على ما يقارب ثلاثة قرون من الزمن.

وبما ان ما خرجنا به من المبحث السابق عن معنى الحداثة من انها التجديد الشامل الذي لا يمس مكونا واحدا اوأكثر وانما التجديد الذي يمس جميع مجالات الحياة عكف العديد من الباحثين في مجال الإسلاميات الى " اعتبار أن المهمة التي ينبغي على الفكر الاضطلاع بها هي قيامه بإعادة نظر شاملة في مسائل الثقافة العربية والتاريخ الاسلامي (حرب علي. **2007**: **184**)

لأنه لا سبيل الى تحقيق الحداثة دون النظر في التاريخ واستيعابه أوكما قال " محمد عابد الجابري ": إنه إذ ينطلق من نقد الحاضر والماضي القريب ليحتمي بالماضي البعيد الأصيل ليوظفه لصالح النهضة اي لصالح مشروعه المستقبلي "(اسماعيل فادي.**1991**: **60**) " محمد اركون " في كتابه " قضايا في نقد العقل الديني ": كيف نفهم الإسلام اليوم ؟ في الفصل الأخير وخلال حوار اجراه مع مترجمه " هاشم صالح " ورد سؤال عن الحداثة في العالم العربي فذكر على التدريج ما يلي:

أولا: تفصيل للمراحل التي مر بها العالم العربي ففي مشروعه نقد العقل الإسلامي قام بتقسيمه الى مراحل ما يهمنا هوالمرحلة الرابعة: مرحلة النهضة التي يتحدث فيها عن الاستفاقة العربية الصعبة " كانت صدمة الحداثة مريعة ثم أخذنا نتعود عليها شيئا فشيئا " (اركون محمد. **2004:289**) والتي اعتبرها مجرد محاولات (**1880** - **1950**) لم تنجح لأسباب منها الاستعمار الذي فرض على الدول العربية والثورات الشعبية التي كافحت لأجل إحلال الاستقلال الوطني وكذا القضية الفلسطينية التي اريد لها ان تكون القضية التي لا حل لها ثم ما أفرزه الاستقلال من قوميات متصارعة داخليا مع قوى إسلامية كل واحدة تريد حل المشاكل التي يعيشها العالم العربي وسبب فشل هذه المحاولات يعيده "محمد اركون " الى ان: حاملي مشاريع الكفاح في العالم العربي أخذوا أواستوردوا أيديولوجيات لم تنشأ في العالم العربي كا لأيديولوجيا الماركسية وافكار الثورة السياسية البرجوازية

الفرنسية كما انها لم تعش تلك الصراعات التي عاشها العالم الغربي، يأتي بمثال في هذا الصدد يقول: ما معنى ان تنقل الأيديولوجيا الماركسية مثلا الى مجتمع زراعي ريفي فقير لم تقلب بنيته التحتية بعد ولم يشهد الثورة الصناعية ؟وبهذا انفصل الفكر العربي عن حركة الواقع التي يعيشها "(اركون محمد.**2004**: **289**) إذ في إمكان الدول العربية أن تصل الى الحداثة المادية عبر استراد التكنولوجيا ومع ذلك لا يمكننا ان نعتبرها حديثة. لماذا ؟

لأن " تحديث العقليات لم يتم أولم يصب الا نخبة أقلية من المثقفين " (اركون محمد.**2004:289**) وهذا حسب رأيه ما جعل الفكر الأصولي ينتصر على حساب الفكر الحداثي الذي لم يستحوذ على الفكر العربي في الفضاء الإسلامي إلى الأن كما ان الوجود الكثيف للحركات الأصولية دليل على عدم نجاح هذه الحداثة العقلية " يعني ان طريق التحرير أمامنا لا يزال طويلا " اركون محمد **2004**: **289**).

اما عن معنى الحداثة العقلية فيذكر أنها على شاكلة الفتوحات اللاهوتية والعلمية والفلسفية التي حصلت في أوربا منذ القرن السادس عشر والتي شكلت قطيعة مع الفكر القر ووسطي لقد حصلت ثورات علمية غيرت من تصور الإنسانية للعالم (الهزات التي عاشتها البشرية "الكوبرنيكية " " الفرويدية ") وغيرها ثم القطيعة الكبرى مع اللاهوت المسيحي خاصة مع السلطة الدينية الكنسية هذا ما مر به الفكر الغربي اوكما يقول " اركون " هذه هي مغامرة العقل الكبرى في الغرب وفي كل هذه الفتوحات لم يشارك فيها العالم الاسلامي لقد بقي يشاهد من بعيد بينما العالم يسير الى الأمام وما يقصده بالعقل الاسلامي هنا هوالعربي، التركي، الفارسي وغيره من الشعوب التي اعتنقت الدين الاسلامي كما ان الهوة بين العالمين لا زالت تزداد يوما بعد يوم اذ لم يتدارك العقل الإسلامي هذه الحقيقة وعودة الى تأصيل الحداثة التي يريد إرساءها في العالم العربي فيذكر انها ليست بالحداثة التي تقصي" الدين " كالتي عوضت الوهية اللّه بألوهية الفرد

في الدنيا فعاث في الأرض فسادا والانتقادات التي ذكرناها سابقا والتي وجهت للحداثة هي خير دليل على فشلها في ارساء حداثة متوازنة والصراعات بين البنى الثقافية بين الغرب والشرق ماهي الا إحدى تجليات هذا الاخفاق.

الحداثة عند " أركون " هي حركة نقدية دائمة كما انها لا تتعلق بالحاضر اذا وجد في الماضي أشخاص ارتقى فكرهم الى الحداثة " فالحداثة ليست معاصرة زمنية اوتزامنية، وانما هي موقف معين قد يوجد في أقدم العصور والحداثة التي اتحدث عنها الآن عربية إسلامية وليست أوربية غربية " (اركون محمد. **1992**: **264**) وهويقصد هنا الحركة الإنسية التي عرفها العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري، حداثة مسكويه، ابوحيان التوحيدي، الجاحظ... وهي امثلة ذكرها في كتابه الإنسية العربية في القرن الرابع الهجري كما ذكرها في كتابه: " الفكر الإسلامي: نقد واجتهاد " يحاول " اركون " ان يأصل الحداثة اسلاميا على اعتبار ان الحداثة مفهوم شمولي يمكن ان ينتقل الى كل بقاع العالم " فالحداثة ليست حكرا على الغرب اوالشرق، موقف الحداثة قد يوجد في اي عصر ولدى كل الشعوب، والنزعة الإنسية ليست حكرا على اوربا والغرب كما حاول ان يوهمنا الاستشراق "(اركون محمد. **1992**: **164**).

تأصيل الحداثة هذا ينبع من التراث الاسلامي إن يعتبرها حداثة سبقت حداثة الفكر الغربي إذ عرف الفكر الاسلامي آنذاك فكر نقدي عقلاني لم يفهمه أبناء ذلك العصر ولم يستوعبه المسلم المعاصر الى اليوم، هذه الحداثة ذات جذور قرآنية إنسية وغير تقديسيه " إذ اثبت الخطاب القرآني فعاليته الى حد كبير بصفته فضاء ينبثق فيه الشخص الحر ويتشكل ويأخذ أبعاده هذا الشخص الذي كفلت له حياته وأملاكه وعائلته ومنزله الخاص..." (اركون محمد.**1992**: **120**).

يقول " محمد اركون " ان التوحيدي منذ القرن الرابع الهجري " يدين النزعة الانسية التجريدية التي تتناقض مع الواقع المعيش حصل ذلك في زمن التوحيدي وحصل ايضا في زمننا الراهن وادانه فلاسفة فرنسا الحقيقيون من امثال" فوكو" و" دولوز " هذه الانسية والنزعة الانسية الحقيقية والفلسفة القائمة على الانسان واحترام الانسان واعتباره أغلى وأعز شيء في الوجود " (اركون محمد. **1992**: **263**) ولذلك على المسلمين ان يعملوا على إحياء هذه النزعة الانسية في عالمهم العربي لتجاوز حداثة التمركز العرقي الغربي والفكر الدوغمائي معا ونجاح الحداثة الغربية كان سببه الأساسي هوتحويل مفهوم التقديس الموجه نحوالسلطات الدينية، السلطة الابوية البطريركية الى مجال الحياة السياسية والمدنية.

وعموما عند تتبعنا لمعنى الحداثة" عند محمد اركون " نجده يسرد التاريخ الاوربي الذي مر بأشواط للوصول الى قطيعة معرفية مع كل فكر رجعي وكيف انه على العالم الإسلامي ان يتبنى حداثة الفكر المابعد حداثي اي حداثة تستوعب كيان الإنسان وتحافظ عليه بالعودة الى الأصول الإنسية التي توفرت في العالم الاسلامي فيما مضى.

يعطي للفرد المسلم جرعات من الهمة عبر استفزازه، عن طريق تذكيره بموقعه من الفضاء المعرفي العالمي، يأكد دائما على الحداثة العقلية الفكرية والتي يأخذ الدين فيها موقعا أساسيا بل " إن نقد العقل الإسلامي يشكل الخطوة الأولى التي لابد منها لكي يدخل المسلمون الحداثة لكي يسيطروا على الحداثة " (اركون محمد.**1998**: **331**) ويقول في نفس الموضوع عن الحداثة الدينية: " أعطيت الأولوية لتحرير الديني، الإصلاح الديني على بقية أنواع التحرير الأخرى من سياسية واجتماعية واخلاقية فهوالذي يخلع المشروعية على بقية التحرير الأخرى " اركون محمد. **1998**: **281**).

وبقوله هذا انما يأكد ضرورة الاصلاح الديني الذي يسبق كل إصلاح سياسي كان ام اجتماعي اوغيره وهذا الاختيار انما ينم عن وعي

كامل بالتراث الاسلامي اذ النظام الديني عند المسلمين هومن يعطي الشرعية للنظام السياسي،وأسسه اوقواعده حسب حراس الارثوذكسية كما يسميهم "محمد اركون "فالسلطة السياسية تستمد من النظام الديني رغم ان النبي عليه الصلاة والسلام جعلها اتفاق بين المسلمين كما ان النظام الأخلاقي والاجتماعي انما يستمد من الدين (العرف، الحدود...) فسلطة الدين هي أساس كل السلط، اما عن مدعاة الحداثة عنده في العالم العربي فهي اذا ما توفرت شروطها فإنها ستتفجر دفعة واحدة وفي جميع المستويات: تنمية ثم حداثة سياسية وتحقيق للديمقراطية ثم ما يدعوه بالجهاد الاكبر الذي يعني الثورة على كل فكر تقليدي عبر خط نقدي على ضوء المناهج اللغوية والتاريخية والسوسيولوجية والأنثربولوجية بنفس الطريقة التي حصلت في الغرب المسيحي تطبيقها على القرآن، الحديث والفقه والتفسير وعلم الكلام والادبيات البدعوية (علم الفرق،والملل والنحل) والشريعة والسيرة النبوية...

ان المطلوب دائما من أجل مواجهة الحاجات الجديدة للإنسان، الفرد والجماعة ان تنجز تحولات تصحح الزمن الجامد والتاريخ المتحجر وهذه التحولات هي ثورات في الدين وليس على الدين، في التقليد والاتباع وليس على الاتباع في العقليات اوليس على التواريخ الخاصة للثقافات المحلية " (خلال مصطفى.**2007**: **77**) ومن خلال هذه الثورة المعرفية يتم فرز العناصر التاريخية عن العناصر التبجيلية التضخيمية وتتوضح الرؤية الواقعية عن الرؤية المثالية ومن خلال هذا يتولد البديل عبر العمل من خلال الصراع بين الرؤيتين والتفاعل بينهما وهدفه الأساسي من كل هذا هوالتوضيح اوالتمييز بين البعد التاريخي للإسلام وبعده الأسطوري الخيالي يقول: ان التصور التقليدي الذي يحمله المسلمون عن الله يشل طاقاتهم ويمنع تحقيق ذواتهم على وجه الارض وهذا التصور اذا ما اعيد تأويله فإنه سيفسح المجال الى علاقات جديدة بين المتعالي والفرد وهوالذي يؤدي الى الحداثة (عبر فتح المجال

لهذا الاخير الفرد واعطائه مجال الحرية اذ يشمل هذا التأويل تأويلات اخرى وفي كل المجالات: السياسية، الاقتصاد (مثال موضوع الربا وكيف انه يعرقل أحيانا سير البنوك) وما ينبغي قوله هنا بالموازاة مع الرأي الأر كوني ان الحداثة كما يقول " محمد شوقي الزين " تنبع من لحظتها الزمانية والمكانية بكل طاقاتها التأسيسية والتعميرية وبكل إمكانياتها التأويلية والتحويلية (الزين محمد شوقي. **2008**: **15**) هي موقف ينم عن وعي وجودي بالتاريخ المعاش يتم من خلاله ممارسة المقولات على أرض الواقع بامتلاك الثقافة والفكر وبناء مؤسسات حديثة وحقيقية.

كما ويعترض " علي حرب " على الإكليشيهات الأركونية المستوردة من الغرب بتفاصيلها يقول: " فهذا أركون يجزم بأننا لن ننموا إلا إذا قطعنا ما أنجزته الحداثة الغربية... ذلك يتطلب منا أن نفكر ونعمل على إيقاع السلحفاة فيما نحن الآن نندرج في زمن متسارع يهمل ولا يمهل إنه زمن المعلومة والعولمة " (حرب علي. **2001**: **127**).

فهوبهذا القول لا ينكر عليه التعلم من الغرب لأن العلم متاح للجميع، لقد نهل الغرب من العلم العربي في زمن مضى لكن الفرق بينهما ان الغرب أخذ وتعلم فابتكر وطور وبالمثل على العرب أن يفعلوا ليشاركوا في المنتوج الإنساني وكرد على أسبقية الحداثة الدينية نقول: ان الحداثة اوالحداثات تتزامن أوتتلاحق لكن لا يستطيع الفرد أن يتدخل في التاريخ لتخيل ما سيأتي بصورة مسبقة فيقدم إحداها على الاخرى لكن عليه العمل على إنجاز التغيير والوقائع خير شاهد على ما يحدث خاصة وأن العالم العربي يشهد ثورات شعبية على الاوضاع السائدة للانفكاك من اللا عدالة الاجتماعية، نحوممارسة للحرية لأول مرة ثورات من الداخل على المستبد إذ لا يمكن تحديث العقل الإسلامي في ظل إطار سياسي واجتماعي تقليدي يسوده البناء العضوي نظام القبيلة) وتحكمه اعتبارات المصلحة الخاصة على حساب المصالح العامة.

خاتمة:

نصل الى انهرغم اهمية طرح محمد اركون إلى انه ينبغي أن نكون أكثر واقعية فيما يخص هذا المفهوم الحضاري لأنه أكبر من ان يناقش بين دفتي مشروع فكري، ذلك انها تنبع من داخل الخصوصية الثقافية من حاجات المجتمع وظروفه مع إمكانية حدوثها في العالم الإسلامي، ليس من خلال نقد العقل الإسلامي فقط

ولكن بتظافر كل الجهود وإجتماع جميع العوامل من سياسية واجتماعية واقتصادية كما ان الموضوع لا يفهم فهما كاملا دون التعرض الى متطلبات تطبيق هذه الحداثة والتي تستدعي بحثا أخر خاصة وان محمد أركون راهن على قراءة الاسلام بمنهجية علمية تحليلية تفكيكية ونقدية.

قائمة المراجع:

ابن منظور،تحقيق: خياط يوسف (بدون سنة)، لسان العرب المحيط ج **3** بيروت. دراسات العرب.

اركون محمد، تر: هاشم صالح، (**1992**) الفكر الاسلامي: نقد واجتهاد لبنان. دار الساقي .

اركون محمد، تر: هاشم صالح (**1995**) من فيصل التفرقة الى فصل المقال...اين هوالفكر الإسلامي المعاصر ؟ ط**2**، لبنان. دار الساقي

اركون محمد، تر: هاشم صالح (**1998**) تاريخية الفكر العربي الاسلامي ط**3** لبنان. مركز إنماء العربي.

اركون محمد، تر: هاشم صالح (**2004**) قضايا في نقد العقل الديني: كيف نفهم الاسلام اليوم ؟ ط**3** لبنان. دار الطليعة.

الجابري محمد عابد (**1991**) التراث والحداثة لبنان. المركز الثقافي العربي.

الفجاري مختار (**2009**) الفكر العربي الإسلامي: من تأويلية المعنى الى تأويلية الفهم، الاردن. عالم الكتب الحديث.

الميلاد زكي (**2004**) من التراث الى الاجتهاد: الفكر الاسلامي وقضايا الاصلاح والتجديد لبنان. المركز الثقافي العربي.

الزين محمد شوقي (**2008**) إزاحات فكرية: مقاربات في الحداثة والمثقف لبنان. الدار العربية للعلوم.

الشيخ محمد (**2005**) جاذبية الحداثة ومقاومة التقليد مطارحات في الفكر الفلسفي المغربي المعاصر لبنان. دار الهادئ.

إسماعيل فادي (**1991**) الخطاب العربي المعاصر: قراءة نقدية في مفاهيم النهضة والتقدم والحداثة سلسلة الرسائل الجامعية لبنان. المؤسسة الجامعية.

حرب علي (**2001**) الاختام الاصولية والشعائر التقدمية: مصادر المشروع الثقافي العربي لبنان. المركزالثقافي.

حرب علي (**2005**) النص والحقيقة **1**: نقد النص ط**4** المغرب. المركز الثقافي العربي.

حرب علي (**2007**) التأويل والحقيقة: قراءات تاويلية في الثقافة العربية لبنان. دار التنوير.

خليل العمر معن (**2000**) معجم علم الاجتماع المعاصر الاردن. الشروق للنشر.

خلال مصطفى (**2007**) الحداثة ونقد الادلوجة الاصولية مصر. رؤية للنشر والتوزيع.

رحومة سحبون علي (**2007**) إشكالية التراث والحداثة في الفكر العربي المعاصر بين محمد عابد الجابري وحسن حنفي نموذج دراسة تحليلية مقارنة منشأة المعارف.

سبيلا محمد (**2007**) الحداثة ومابعد الحداثة ط**2** المغرب. دار توبقال للنشر.

عبد اللطيف كمال (**1992**) مفاهيم ملتبسة في الفكر العربي المعاصر دار الطليعة. لبنان.

مسرحي فارح (**2006**) الحداثة في فكر محمد اركون الجزائر. منشورات الاختلاف.